«دراسة نقديه لفكر المقاومة ...» منهج خاطىء ونتائج مضللة

نزيه أبو نضال

منذ صدر كتاب الدكتور صادق جلال العظم «دراسة نقدية لفكر المقاومة الفلسطينية » شهدت أوساط المثقفين والمفكرين الفلسطينيين والعرب عموما ، وأوساط المقاومة خصوصا ، درجة متوترة من الحوارات والمناقشات . ولم يكن مرد ذلك لاهمية وحساسية الموضوعات التي طرحها الدكتور صادق فقط ، وانما لتوقيت هذا الطرح، وللنتائج الخطيرة التي وصل اليها .

ولم تقتصر ردود الفعل على المناقشات الكلامية وحدها بل تعدتها الى الكتابة أيضا ، والتي تراوحت بين ابداء الرأي في « بريد القراء » لاحدى المجلات ، الى تاليف كتاب كامل كما فعل منير شفيق بكتابه « الثورة الفلسطينية بين النقد والتحطيم » .

وفي الوقت الذي نرحب فيه بكل هذا الجدل الذي أثارته الموضوعات التي طرحها الدكتور صادق ، والتي تشكل الشغل الشاغل لكل كوادر الثورة الفلسطينية والمناضلين والمفكرين العرب منذ سنوات طويلة ، الا اننا وجدنا انفسنا أمام مجموعة من الظاهرات السلبية تتعلق أساسا بجوهر هذه الحوارات وجدواها والتي علينا ان نتوقف أمامها مليا لنكون قادرين بعد ذلك على الانتقال لمناقشة الموضوعات المطروحة ، وهي المسألة التي تعنينا من كل ما يدور .

ان الفكر الماركسي والذي يمثل الثقافة العملية السائدة لمئات الملايين من البشر الان ، لم يتثبت وينتشر الا من خلال حركة واسعة من الجدل شهدتها القارة الاوروبية خصوصا ، منذ اواسط القرن التاسع عشر وحتى اوائل هذا القرن .. ولا زالت مستمرة .. كما ان اللينينية (تحديدا في مسائل التنظيم وانجاز الثورة وحتى في مسائل الادب والفن والفلسفة) لم تخرج منتصرة الا عبر آلاف المعارك الفكرية والحوارات ، منذ اواخر القرن التاسع عشر الى نهاية العقد الثاني من هذا القرن .

وعلى امتداد الصين الهائل شهد سبعماية مليون من البشر أكبر حركة جدل في التاريخ في السنوات الخمس التي ابتدأت عام ١٩٦٥ فيما عرف بالثورة الثقافية ، بين انصار خط ليو تشاو تشي وانصار خط ماوتسي تونج ، وغطت المنشورات ومجلات الحائط كل بقعة في الصين تقريبا ، الى ان ساد الخط الصحيح اخيرا .

ان استحضار هذه النماذج ، ليس خروجا عن الموضوع او استطرادا لتثبيت أهمية الجدل والحوار ، ولكن من اجل الانتقال الى كشف الظاهرات السلبية في الجدل الدائر الان في الساحة الفكرية في بلادنا حول ما كتبه الدكتور صادق العظم والردود عليه .

د. صادق بين (النقد) والتحريف

أول ظاهرة سلبية تواجهنا في كتاب الدكتور صادق « دراسة نقدية ... » هي عدم الامانة في نقل النصوص والاستشهادات ، وهذا ما أوضحه ناجي علوش وتأكدنا منه في رده المنشور في « شؤون فلسطينية » العدد ٢١ ، كما أوضحه منير شفيق بشكل كامل في كتابه « الثورة الفلسطينية بين النقد والتحطيم » وما اكده لنا ابو اياد ايضا خلال حديثنا عن كتاب الدكتور صادق في احدى الجلسات . حين نقول ان عدم الامانة في نقل النصوص والاستشهادات هي ظاهرة سلبية ، فلا نعني سلبية بالمعنى الاخلاقي (على اهمية هذا الجانب) ، انما نعني ظاهرة سلبية تتعلق